مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: من أدب الحكمة الرافدية
اسم الكاتب: باسم ميخائيل جبور
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2917
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 04:18 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

من أدب الحكمة الرافدية

باسم ميخائيل جبور *

الملخص

يرمي هذا البحث إلى تسليط الضوء على إحدى أهم الأبواب الأدبية الرافدية القديمة وهو "أدب الحكمة"؛ إذ لا تكاد تخلو مدونة مسمارية رافدية من إشارات حكمية ذات صلة كبيرة بالقيم والأخلاق والمُثل العليا في الحياة، وقد دوّنها الرافديون القدماء في حياتهم اليومية عبر تاريخهم الطويل.

حظيت الحكمة الرافدية على مقام رفيع واهتمام بليغ في الأدب الرافدي عامة، وما هذه الدراسة إلّا للتركيز على سيرورة أدب الحكمة الرافدي وتجلياته من أواخر الألف الرابع ق.م وصولًا إلى القرن السابع ق.م.

الكلمات المفتاحية: أدب، حكمة، سومري، أكّدي، رافدي.

* جامعة دمشق- كلية الآداب.

Abstract

This research aims to shed light on one of the most important ancient Mesopotamian literary chapters, which is "The Literature of Wisdom." The Mesopotamian Code is hardly devoid of wise references that are highly relevant to values, morals and ideals in life. The ancient Mesopotamians wrote them down in their daily lives through Their long history. Where the Mesopotamian wisdom received a high position and an eloquent interest in Mesopotamian literature in general, and this study is only to focus on the process of Mesopotamian wisdom literature and its manifestations from the late fourth millennium BC to the seventh century BC.

المقدمة:

بعد اختراع الكتابة في بلاد سومر بين النهرين الخالدين جنوب العراق عام 3200ق.م، بدأ الإنسان الرافدي يجعل التدوين وسيلة لتلبية حاجاته الاقتصادية، وما لبثت الكتابة أن تطورت مع الزمن وتجاوزت الاقتصاد والأغراض المادية لتطرق أبوابًا أخرى سياسية واجتماعية وفكرية دينية ودنيوية، وانصرف الكتّاب الأولون من الكهّان الذين كان لهم الدّور الأكبر في ابتداع الكتابة إلى تدوين التراث الشعبي المتناقل شفاهًا لسنوات طويلة خلت، وبدأت المدارس الرافدية السومرية تأخذ دورها الرائد فكثر طلابها، وتعددت أساليبها، وتطورت مناهجها مما أدى بشكل مباشر إلى نشوء الأدب الرافدي الذي بات سفرًا للمشاعر الروحية وسجلاً للأفكار الفلسفية والقيم الإنسانية التي دونت معتقدات الإنسان ونظرته إلى الآلهة والكون وبطولاته وكل تفاصيل حياته ومجتمعه، وتابع تلك المسيرة الأدبية الأكّديون من بعدهم.

ومن هنا نشأت نصوص الحكمة الرافدية شأنها في ذلك شأن ألوان كثيرة من الأدب الرافدي المحفوظ، ولعل تلك النصوص كانت مستقاة من قضايا فكرية وفلسفية شغلت عقل الإنسان الرافدي زمنًا طويلًا، وهي في نتيجتها عصارة التجارب الحياتية، وخلاصة بحث دؤوب عن الحقيقة وماهية الوجود البشري، وماهي إلّا تساؤلات كبرى حول الخلق وعلاقة الإنسان بالإله وصراع الثنائيات المتضادة المتنافرة كالحياة والموت، والخير والشر، والثواب والعقاب، والإنجاب والعقم، والخصب والقحط وغيرها من أسئلة فلسفية شكلت مادة حكمية غايتها بسط المواعظ وإسداء العبر التي مازلنا إلى يومنا هذا نحفظها ونرددها ونعلمها لأبنائنا، الأمر الذي دفع بي إلى دراسة بعضٍ من ألوان الحكمة الرّافدية بالاعتماد على المنهج الاستقرائي– التصنيفي الذي يقوم على دراسة مواد الحكمة (كالأمثال الشعبية، والمناظرات، والقصص) ومن ثم تصنيفها زمنيًا من الأقدم بدءًا من السومريين، فالأكّديين، فالبابليين، والآشوريين.

تعريف أدب الحكمة:

أدب الحكمة مصطلح جامع لكل الأعمال التي تضع في أولويات أغراضها أهدافاً أخلاقية تربوية كالأمثال المنطوقة، والقصص الدينية، وحكايا الحيوانات، والمناظرات، والمحاورات الثنائية.

حكماء من الرافدين:

عرف الرافديون إلهًا خاصًا للحكمة والمياه العذبة هو **الإله إنكي** السومري ومعناه (سيد الأرض)، والذي ورثه الأكّديون، وسمّوه إيا أي (بيت المياه)، ومعبده في مدينة أريدو القديمة المعروفة حاليا باسم (تل أبو شهرين) جنوب العراق.[1]

إنكي من خلق الحكماء السبعة، وكان أولهم **الحكيم أدابا** الذي أسند إليه مهمة الإشراف على معبده، وهو أول من نطق الحكمة في تعاليمه.

يقول في وصاياه إلى ملوك الأقاليم التي تعود إلى القرن الثامن والعشرين ق. م:

(أكرم أسلافك، وأكرم إلهك، دافع عن الضعفاء، وأقم العدل، كن صادقاً مع نفسك، وحارب الشر، وتجنب الإسراف في عيشك).

وأدابا هو الصياد الذي كسر ريح الجنوب عندما كادت تغرق مركبه حين كان يصطاد، فأراد كبير الآلهة "آن" معاقبته طالباً منه المثول أمامه، عندها طلب إنكي من أدابا ألّا يأكل أو يشرب في حضرة آن لئلا يخسر الخلود، ولمّا مثل أدابا بين يدي آن دار بينهما حوار طويل، فأبدى آن إعجابه بحكمة أدابا، فأحبه وأراد أن يمنحه الخلود بطعام وشراب إلا أن الحكيم أدابا نزولا عند نصيحة إلهه رفض الطعام والشراب وخسر الخلود.

[1] **ادزارد.د، و بوب. رولينغ (1987): قاموس الآلهة والأساطير، تعريب: محمد وحيد خياطة، دار مكتبة سومر، حلب**، ط1، ج2، ص97-98.

إن قصة أدابا تشبه إلى حد بعيد قصة آدم التوراتية، فكلاهما خسر الخلود الأول لطاعة إلهه، والثاني لعصيان أوامر إلهه.[2]

– وفيما يلي بعض ألوان الحكمة:

1– الأمثال الشعبية:

شهدت الأمثال الشعبية المتوارثة شفاهًا طريقها إلى التدوين المبكر، فصنّف السومريون مجموعات ضخمة من الأمثال الشائعة آنذاك، كما أخذ الأكّديون قسمًا من الأمثال السومرية القديمة، وتابعوا روايتها بعد ترجمتها إلى لغتهم. بعض منها حمل في مضمونه إشارات للحكمة، ومن الأمثلة الكثيرة اقتطفت ما يلي:

- من شيد كما يشيد السيد عاش كالعبد، ومن بنى كما يبني العبد عاش السيد.
- الزوجة مستقبل الرجل، والابنة خلاصه، والابن ملجؤه، والكنة شيطانه.
- في يوم العرس القلب الفرح العروس، والقلب المغتم العريس.
- لا يستطيع كلب الحداد أن يقلب السندان ولذلك فهو يقلب إناء الماء بدلاً منه.
- لاتعدّ دجاجاتك قبل أن تفقس من البيض.
- تخلصت من الثور فهاجمتني البقرة الوحشية.3
- الحكيم هو من لا يفكر بالمال.
- سندك في إلهك لا في مالك.
- من يأكل كثيرًا لا يستطيع النوم.
- يد بيد تبني بيتًا، ومعدة إلى معدة تدمر بيتًا.4
- الزوجة المسرفة أسوء من كل الشرور.

---

[2] دالي، ستيفاني(1997): أساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر، دار بيسان، بيروت، ط1، ص223–229.

[3] كريمر، صموئيل (1957): من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، دار المثنى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، بغداد، ص221–223.

[4] باقر، طه (1976): مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص102–107.

- الصداقة قد تدوم يومًا واحدًا، أما القربى فتدوم إلى الأبد.
- لدغ العقرب إنساناً فماذا استفاد؟ أوصل واشٍ مظلومًا إلى الموت فماذا جنى؟
- أطع كلام أمك واجعله كلامًا إلهيًا.
- المال كالطير لا يعرف وطناً.
- لا كسب من دون عناء.
- لذة الخمر تذهب وعثاء السفر.
- ساكن البلد الغريب عبد فيه.[5]

2- المناظرات الأدبية:

جاءت بعض نصوص الحكمة على شكل مناظرات بين الحيوانات أو النباتات أو الجماد، فكانت تدور بين طرفين يسعى كل منهما لإظهار حجته وتقديم برهانه، وبيان فضله وتفوقه والحط من قيمة الطرف الآخر، وأشهر هذه المناظرات:

الثور والحصان، والثعلب والذئب، والعصفور والسمكة، والأسد والكلب، وشجر الكرز وحور الفرات، والشوفان والحنطة، والأثل والنخيل، والصيف والشتاء، القصب والخشب، والمعول والمحراث[6].

ومن أمثلة المناظرات مناظرة الأثل والنخيل ، فقد تبدأ القصة بخلق الكون واجتماع الآلهة لتنصيب ملك على البلاد في مدينة كيش القديمة حاليًا (تل الأحيمر) شرق بابل، وهي المدينة التي هبطت الملكية إليها من السماء يقوم الملك المصطفى بقرارٍ إلهي بغرس شجرتين متقابلتين في حديقة قصره، وهما النخلة والأثل، ولمّا نمت الشجرتان وأصبح لشجرة الأثل أغصان مزدانة بالأوراق أقيمت تحتها وليمة للملك، ومن هنا بدأت المناظرة بين الشجرتين، وهذه بعض سطور النص:

---

[5] الجبوري، صلاح سلمان (2000): أدب الحكمة في وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، ص97-109.

[6] زودن، فون (2003): مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق إسماعيل، دار المدى، دمشق، ص241.

في الأيام السالفة، في السنوات الغابرة
حينما كانت السموات هائجة.
حينما كانت الجبال متراكمة.
عقدت آلهة البلاد اجتماعاً،
تشاورت فيما بينها.
أعطت البشر السيادة التي كانت للآلهة
نصبت ملكاً على بلاد كيش.
غرس الملك شجرتين متقابلتين.
في ظل شجرة الأثل كانت الاحتفالات،
وفي ظل النخلة كانت الخضرة.
فراحت كل منهما تتكلم:
النخلة: يا شجرة الأثل إنك من الأشجار التي لا نفع منها.
ولا فائدة من أغصانها، فأنت خشب لا يثمر.
ثماري تساعد الطفل على النمو، ويأكلها الكبار.
أنا شجرة الخير الدائم للعبد والسيد على السواء.
الأثل: أيتها النخلة اعلمي أن خشبك لا يصلح لأي شيء،
فانظري إلى أثاث القصر فكله من أغصاني.
يتناول الملك طعامه على منضدتي،
وتشرب الملكة من الكأس المصنوع من خشبي.
وتقدم القرابين على مذبحي الخشبي.[7]

[7] باقر، طه (1976): مرجع سابق، ص165–167.

لقد افتخرت الشجرتان وتجادلتا في إظهار فوائد كل منهما للإنسان. فخص الأثل بأهميته الاقتصادية وقيمته الدينية، فأثاث البيوت من شجره، ومذابح المعابد من خشبه، في حين تميز النخل بثماره وقيمته الغذائية وجمال خضرته.

3- القصص:

ومن أقدم النصوص الحكمية بعد تعاليم أدابا هو نص (الطوفان السومري) شوروباك ووصاياه إلى ابنه زيوسدرا أو(نوح البابلي) المعروف في نصوص الطوفان الرافدية بأنه الرجل الحكيم الذي نجا من الطوفان، وقد اصطفته الآلهة حتى ينقذ البشرية كلها من مصير الموت المحتوم، ويعود النص إلى 2500 ق. م، وللأسف لم يصلنا هذا النص كاملا بل كان مشوهاً مكسوراً لكننا نعرف من بدايته أن شوروباك يقدم النصائح والوصايا لابنه زيوسدرا يقول:

أي بني سأعطيك هذه الوصايا، فخذ بوصاياي

اصغ إلي، لا تهمل وصاياي، لا تصرف سمعك عن كلماتي.[8]

ومن النماذج التي تعد من بواكير نصوص أدب الحكمة قصة بابلية تعود لمنتصف الألف الثاني قبل الميلاد بعنوان: (لدلول بيل نيميقي) وتعني في اللغة البابلية : لأمجدنّ رب الحكمة، والمقصود برب الحكمة هو الإله مردوك، وتشبه القصة في إطارها العام قصة أيوب التوراتية، ويطلق عليها الدارسون اسم قصة أيوب البابلي. تضم ما يقارب 400-500 سطراً في أربعة رقم مسمارية تعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، (بعضها مهشم)، وهي قصة رجل اسمه (شبشي ميشري شكّان/ Šubši-mešrê-Šakkan)،[9] وهو شريف في قومه احتل وظائف مهمة عند الملك، وكانت له ثروة طائلة وعبيد وممتلكات، وكان يحترم الآلهة ويقيم الصلاة ويحسن إلى الناس إلى أن ساءت حالته، وأحاط به الشر من كل مكان وابتعد عنه أصحابه، وتركته الآلهة وحيداً دون معين فاشتد

[8] الشواف، قاسم(1997): ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور الكتاب الثاني، دار الساقي، بيروت، ط1، ص277-282.

[9] Lambert,G(1960): Babylonian Wisdom Litrature, Oxford University Press, p21-27.

غضب الملك عليه وأقصاه عن عمله، وحاك الطامعون ضده المؤامرات حتى صار غريباً بين أهله ومعدوماً لدرجة المذلة على يد عبيده، وهذه مقتطفات من النص:

لقد تخلى عني إلهي واختفى.

خذلتني إلهتي وابتعدت عني.

فارقني الملاك الصالح الذي كان يلازمني.

روحي الحارسة لاذت بالفرار.

وهنت قواي وذهبت رجولتي وتلاشت هيبتي.

أذناي المفتوحتان لا تسمعان.

عيناي المحدقتان لا تنظران.

لا أرتاح نهاراً، ولا أنام ليلاً.

سياط العذاب تجلدني ليلاً ونهاراً.

رجال الحاشية يتآمرون عليّ والملك مغتاظ مني.

أنا الذي كنت أمشي مشية النبلاء.

أنا صاحب المقام الرفيع صرت كالعبد.

لا أحد يستمع إلي، ولا عين تنظرني.

مدينتي تعبس بوجهي كما لو كنت عدواً.

صديقي صار شيطاناً ماكراً.

عبيدي يشتمونني علانية باستمرار.

أهلي يعاملونني كأنني غريب عنهم.

دبت الحمى في أطرافي وجعلت بدني يرتجف.

حطمت قوامي الممشوق كما يتحطم الجدار.

حنت جسدي القوي كما تحنى حزمة القصب.

تلبس الشيطان بجسدي كأنه رداء.

جسمي يرتعش والشلل وصل الى يديّ.
وحلّ العجز في ركبتيّ حتى نسيت قدماي الحركة.
لا عرّاف يدري متى ينتهي سقمي.
وإلهي لا يقدم لي العون فيأخذ بيدي،
ويسير بجانبي.
ينتظرني قبري قبل أن أموت.[10]

في تلك السطور السابقة صورة واضحة لعذاب الرجل روحياً وجسدياً، لكنه بقي مؤمناً بعدالة الآلهة مع كل البلاء الذي أصابه حتى يرى حلماً أن رسولاً من الإله مردوك يحمل له البشرى بالخلاص، ويتحدث الرجل في ختام النص عن تفاصيل شفائه واستعادته لعافيته وشأنه الرفيع، وينتهي النص بذكر تفاصيل ذهابه إلى بابل قاصداً الحج إلى معبد مردوك مقدماً النذور والأضاحي، وقد جاء في اللوح الرابع ما يلي:

الإله تولاني برعايته، أوقفني على قدمي
وهبني الحياة، نجاني من الهاوية، أنقذني من الخراب
مردوك خلقني من جديد
ضرب بشدة على يد من ضربني
من غير مردوك يبعث الحياة في الميت؟
قصدت باب معبد مردوك
عكفت على التضرع والدعاء
وضعت البخور والعطر وذبحت الثيران
قدمت الأغنام السمينة وسكبت الخمر الصافي[11]

[10] Lambert(1960): Ibid, p30-62.

[11] الجبوري، صلاح سلمان (2000): مرجع سابق، 177.

ثمة نص آخر يعود الى أواخر الألف الثاني ق.م، ويتألف من سبعة وعشرين مقطعاً حوارياً، وهو حوار بين معذب وصديقه حيث يتكلم المعذب على الظلم الناجم عن طبيعة العلاقات الاجتماعية وعن الفوارق الطبقية واستغلال الحكام لقوتهم ويطرح تساؤلات عن سبب اضطهاد القوي للضعيف، وسمو مكانة المجرمين، فيخالفه صديقه الرأي إذ يدافع عن عدالة نظام الكون الإلهي، ويؤكد على الحكمة الإلهية العصية على إدراك البشر وفهمهم وقد جاء في بعض مقاطعه ما يلي:

المعذّب: أراني قد انتهى أمري وتسلط علي الشقاء
اختطف الموت أبي عندما كنت صغيراً،
وذهبت أمي التي ولدتني الى أرض اللاعودة
تركني أبي وأمي دون كفيل يرعاني

الصديق: يا صديقي ما تقوله يبعث على الحزن والكآبة
لماذا توجه تفكيرك الى الشر؟
فتجعل من بشاشة وجهك عبوساً
لقد وصل أباؤنا لمصيرهم المحتوم،
وساروا في طريق الموت
هذا حال الناس جميعاً
لكن من يقوم على خدمة الآلهة فله ملاك يحميه
وثروة الانسان بعبادة آلهته

المعذب: يا صديقي دعني اسألك سؤالاً فاصغ الي
لقد صار جسدي حطاماً، وتملكني الهزال
خذلني التوفيق، وذهبت عني الطمأنينة
وهنت قواي، وفقدت النعيم والخير
غلة حقلي لا تكفيني والشراب القليل لا يروي غليلي

كيف يمكنني أن أضمن عيشة راضية؟
الصديق: يا صديقي سأقول لك شيئاً
إن فكرك لفي ضلال وقد كفرت بقضاء الالهة
أنشدْ رضا آلهتك بعبادتها
فأي حظ سيأتيك من دون رضا الآلهة؟
المعذب: يا صديقي اصغِ إلي، وافهم أفكاري
إن الناس يمجّدون القوي، ويحتقرون الضعيف
يمكّنون الشرير ويقمعون الأمين
ويفرغون الخبز من خزانة الفقير
الصديق: خلقت الالهة البشر وجعلت الكذب والزور من نصيبهم
صحيح أن الناس يفترون ويتآمرون،
ويسحقون الضعيف، ويمجدون القوي
ولكنهم في نهاية الحياة ينتهون الى طريق مفزعة
وتُخمد أنفاسهم كما تخمد النار[12]

وهكذا يستمر الحوار سجالاً بين المعذب وصديقه، وكأنه أشبه بحوار بين التدين والإلحاد في محاولة كل منهما لإثبات حجته وبرهانه في تفسير المظاهر الاجتماعية السلبية بين رفض للعدالة الإلهية والاقتناع بعدم جدواها وبين التشبث بالتعاليم الدينية وعبادة الآلهة.

ومن النصوص المتأخرة نسبياً نص بعنوان (حوار العبد وسيده) مكتوب باللغة البابلية ويعود إلى حوالي 1000 ق.م.[13] وهو عبارة عن حوارية لا تخلو من هزل وسخرية في قالب حكمي لحوار بين سيد وعبده يأمر فيه السيد عبده بعمل شيء ما، وسرعان ما نجد

[12] الجبوري، صلاح سلمان (2000): مرجع سابق، 190-198.
[13] الشواف، قاسم (1997): مرجع سابق، ص428-429.

العبد يجيب بالموافقة والطاعة، ثم ما يلبث أن يعود السيد ليغير رأيه، فيجيب العبد بالسمع والطاعة أيضاً، وفيما يلي مقتطفات من تلك الحوارية:

السيد: أيّها العبد اقترب مني

العبد: نعم مولاي نعم

السيد: اذهب سريعاً، وجهز لي عربة لأذهب للقصر.

العبد: اذهب مولاي للقصر، ستكون لك فائدة، سيراك الملك ويغمرك كرماً.

السيد: أيها العبد لا أريد الذهاب للقصر

العبد: لا تذهب مولاي، ربما يراك الملك فيرسلك حيث لا تريد، ويدفعك في طريق مجهولة

السيد: أيها العبد اقترب مني

العبد: نعم مولاي نعم.

السيد: أسرع وأحضر لي ماء لأغسل يديّ وأتغذى.

العبد: تغذّ يا مولاي فالوجبة الطيبة تبهج القلب، كلْ من رزق إلهك

السيد: أيها العبد لا أريد أن أتغذى

العبد : لا تتغذّ يا سيدي، فالأكل بعد جوع، والشرب بعد عطش خير لجسدك.

السيد: أيها العبد اقترب مني، واسمع كل كلامي.

العبد: نعم مولاي نعم

السيد: اذهب وجهز لي عربة، لأتصيد في البراري.

العبد: اذهب سيدي، الرجل الذي يجوب البراري ستمتلئ جعبته صيداً.

السيد: أيها العبد لا أرغب في الذهاب للصيد.

العبد: لا تذهب يا سيدي، الرجل الذي يجوب البراري يتعب فكره، ويرهق جسده.

السيد: أيها العبد اقترب مني واسمعني جيداً

العبد: نعم مولاي نعم

السيد: سأقوم بثورة

العبد: نعم يا سيدي ثُرْ، إن لم تثرْ فلن تلبس ولن تملأ جعبتك مالاً.

السيد: أيها العبد لن أقوم بتورة.

العبد: لا تثرْ يا سيدي، الرجل الثائر ربما يصبح مقتولاً أو مسجوناً.

السيد: أيها العبد أريد أن أعشق امرأة

العبد: اعشق يا سيدي، الرجل العاشق ينسى قلقه، ويطرد وسواسه.

السيد: أيها العبد لا أريد عشق امرأة.

العبد: لا تعشق يا مولاي، المرأة كالشرك والحفرة، هي خنجر في حنجرة الرجل.

السيد: أبها العبد اقترب مني، واسمع كل كلامي.

العبد: نعم مولاي نعم

السيد: أسرع، أحضر لي ماء لأغسل يديّ، وأقدم الأضاحي للآلهة.

العبد: افعل يا سيدي، الرجل الذي يضحي يكون قلبه سعيداً، ويكسب الحسنات

السيد: أيها العبد لن أقدم الأضاحي

العبد: لا تقدم الأضاحي يا سيدي، بذلك ستعلم إلهك ألا يطلب منك الأضاحي والقرابين والعبادة المستمرة،

السيد: أيها العبد أريد أن أقرض مالاً بالفائدة

العبد: اقرض يا مولاي، فالرجل الذي يقرض ماله يحافظ عليه ويضاعفه.

السيد: أيها العبد لا أريد أن أقرض المال بالفائدة.

العبد: لا تفعل يا سيدي. إن إقراض المال لذيذ كحب المرأة، لكن إرجاعه أصعب من ولادتها. قد يبتلعون مالك وينكرون عليك المال والفائدة.

السيد: أيها العبد، أريد خدمة وطني

العبد: افعل سيدي، فالرجل الذي يخدم وطنه تسجل أعماله أمام الآلهة.

السيد: أيها العبد لا أريد خدمة وطني.

العبد: لا تفعل يا سيدي، اصعد إلى التلال وتجول بين الجماجم المختلطة بين النبلاء والفقراء، لن تميز صانع الخير في خدمة بلاده من صانع الشر.

السيد: أيها العبد اقترب مني واسمع كل كلامي.

العبد: سمعًا وطاعة يا مولاي.

السيد: فيم الخير إذن؟

العبد: الخير أن تدق عنقك وعنقي، أن تلقى في البحر وألقى معك

فمن ذا الذي طالت قامته حتى وصل إلى السماء؟

ومن ذا الذي اتسع منكباه حتى احتضن الأرض كلها؟

السيد: لا أيها العبد سأقتلك وأرسلت أنت أولاً إلى هناك

العبد: نعم سيدي لكنك لن تحتمل العيش بعدي ثلاثة أيام.[14]

النص الأخير هو نص الحكيم (أحيقار) الذي كان مستشاراً في بلاط الملكين الآشوريين (سنحاريب)، وابنه (أسرحدون) في القرن السابع ق. م. اكتشف هذا النص على أوراق البردي من قبل بعثة أثرية ألمانية في جزيرة الفيلة بمصر عام 1906، ويتألف من ثلاث عشرة صفحة.

يروي النص قصة الكاتب المستشار أحيقار الذي كان حكيماً ذا مال وفير ومعرفة ورأي وتدبير لكنه كان عقيماً رغم زواجه من ستين امرأة، وذهابه إلى العرافين والمنجمين وتقديمه الأضاحي والقرابين. إلى أن جاءه صوت الإله، وأشار عليه أن يتبنى ابن أخته نادان، وقد كان رضيعا، فأخذه ورباه واعتنى بأمره وعلمه الحكمة. ولكن نادان عندما شب عن الطوق أصبح ولداً عاقاً ووشى بأحيقار مربيه ومعلمه وولي نعمته عند الملك ليحتل مكانته الرفيعة ويرثه في حياته.

[14] الشواف، قاسم(1999): ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور الكتاب الثالث، دار الساقي، بيروت، ط1، ص333–341.

لاشك إن حكم أحيقار كانت النواة الأساسية التي بنى عليها التوراتيون كثيراً من أسفارهم في العهد القديم كسفر الأمثال، وسفر أشعيا، وسفر أرميا، ثم حكم ابن سيراخ التي دونها العبرانيون في القرن الثاني ق. م في الأسفار المقدسة، وبين نصي أحيقار وابن سيراخ تشابه كبير جداً يصل حد التطابق بعض الأحيان.

يقول أحيقار في بداية سيرته الذاتية:

أنا أحيقار كاتب الملك، قيل لي عندما كنت صغيراً إنك لن ترزق بولد من صلبك، والثروة التي كنت أملكها أعظم مما يستطيع المرء وصفه، تزوجت ستين امرأة وبنيت لهن ستين قصراً، لكنني لم أرزق ولداً، قدمت الأضاحي والنذور للآلهة وخاطبت إلهي قائلاً: إذا مت ولم أنجب ولداً ماذا سيقول الناس؟ سيقولون هذا أحيقار البار الصالح التقي لم يترك ولداً يتولى دفنه، وهذه ثروته ليس لها من يرثها وكأنه رجل حلت عليه اللعنة، عندها سمعت صوت إلهي يقول: يا أحيقار الحكيم لقد منحتك كل ما طلبت لا تقلق، فها هو نادان ابن أختك سيصبح ابنا لك علّمه الحكمة واجعله وريثك في كل شيء. أطعت كلام إلهي وأخذت ابن أختي وسلمته لثماني مرضعات، وأطعمته العسل، وأجلسته على البساط الفاخر، وألبسته الحرير والأرجوان والخز، فنما ابني وشب، وامتدت قامته كالأرز، ولما ترعرع وبلغ أشده علمته الكتابة ولقنته الحكمة قائلاً:

اسمع يا بني يا نادان وافهم كلامي، وتذكر نصائحي كما تتذكر تعاليم الإله:

- يا بني: لا تبح بكل ما تسمع، ولا تقل شيئاً عن كل ما ترى.
- يا بني: لا تحل عقدة ربطت، ولا تعقد عقدة حلت.
- يا بني: نقل الحجارة مع رجل حكيم خير من احتساء الخمر مع الجاهل.
- يا بني: لا تكن عجولاً متسرعاً كشجرة اللوز تزهر قبل كل الأشجار، ويؤكل ثمرها بعدها جميعاً، بل كن عاقلاً متأنياً كشجرة التوت تورق آخر الأشجار ويسبق ثمرها كل الثمار.
- يا بني : دس الشوك بنعلك، لتمهد الطريق لبنيك من بعدك.

- يا بني: ارم حجراً على كلب ترك صاحبه وتبعك.
- يا بني: أعمى العينين خير من أعمى القلب.
- يا بني: لاتدع صاحبك يطأ على قدمتك كي لا يطأ على رأسك.
- يا بني: صديق قريب خير من أخ بعيد، وصيت حسن خير من جمال وفير.
- يا بني: لا تجود يد شبعت بعد جوع.
- يا بني: كن أول من يقوم عن الوليمة.
- يا بني: شاة قريبة خير من بقرة بعيدة، وعصفور بيدك خير من ألف طائر
- يا بني: إن عين الإنسان كنبع ماء لا تشبع حتى تمتلئ بالتراب.
- يا بني: لا تكن حلواً فيبلعوك، ولا مراً فيبصقوك.
- يا بني: دخل السوس إلى متجر من النحاس فلم ينل منه شيئاً.
- يا بني: اخفض صوتك فلو كان البيت يبنى بصوت عالٍ لبنى الحمار بيتين.
- يا بني: حملت الحجارة والحديد، ولم أجد أثقل من رجل يسكن بيت حميه.
- يا بني: حملت الحجارة والحديد ولم أجد أخف من الضيف.
- يا بني: لا تفضل عبداً من عبيدك على الآخر، لأنك لا تعلم أيهما تحتاج إليه يوماً ما.
- يا بني: دخل الذئب إلى المدرسة فقال له الأستاذ: ألفٌ باءٌ يا ذئب. أجاب الذئب: جديٌ حملٌ يا أستاذ
- يا بني: يأكل ابن الغني الأفعى فيقول الناس للشفاء أكلها، ويأكلها ابن الفقير فيقولون من جوعه أكلها.
- يا بني: لا تتدخل في زواج امرأة لأنها إذا شقيت لعنتك، وإذا سعدت فلن تذكرك.
- يا بني: لا تكثر من زيارة صديقك لئلا يملك فيكرهك.[15]

[15] الشواف، قاسم(1999): ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور الكتاب الثالث، دار الساقي، بيروت، ط1، ص369-409.

الخاتمة:

تناول البحث ألوان الحكمة الرافدية التي بدأ تدوين نصوصها مع بدء اختراع الكتابة عند السومريين في أواخر الألف الرابع وصولًا إلى القرن الثالث ق.م. وتطورت عند الأكديين وأسلافهم (البابليين والآشوريين)، في الألفين الثاني والأول ق.م، فكانت الأمثال والحكم الشعبية المعبرة عن مختلف شؤون الحياة اليومية للرافديين وظهرت المناظرات والحوارات التي تهدف إلى ترسيخ الرشاد والابتعاد عن الضلال، وإسداء النصح.

بتلك الألوان الأدبية المتعددة عبّر أدب الحكمة عن عمق الفكر الرافدي وتطوره، الفكر الذي بقي حياً من خلال اتصاله بقيم الحياة وتعبيره عن توجهات الإنسان الرافدي في الوصول بالمجتمع إلى الغايات الكريمة والمثل العليا التي تهدف إلى ما فيه خير البشرية وصلاحها.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

– **ادزارد. د، و بوب. رولينغ (1987): قاموس الآلهة والأساطير، تعريب: محمد وحيد خياطة، دار مكتبة سومر، حلب**، ط1، ج2.

– باقر، طه (1976): مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد.

– الجبوري، صلاح سلمان (2000): أدب الحكمة في وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.

– دالي، ستيفاني(1997): أساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر، دار بيسان، بيروت، ط1.

– زودن، فون (2003): مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق إسماعيل، دار المدى، دمشق.

– الشواف، قاسم(1997): ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور الكتاب الثاني، دار الساقي، بيروت، ط1.

– الشواف، قاسم(1999): ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور الكتاب الثالث، دار الساقي، بيروت، ط1.

– كريمر، صموئيل (1957): من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، دار المثنى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، بغداد.

المراجع الأجنبية

- Lambert, G (1960): Babylonian Wisdom Litrature, Oxford University Press.